مقدمة

لقد ارتبطت الزراعة في مصر منذ الأزل بحضارة عريقة وعظيمة، شهد لها العالم بأثره، وذلك بعد أن تخطت مصر مرحلة الحياة البرية والصيد، ومما لا يدع مجالا للشك فإن الزراعة لها فضل كبير على الإنسانية جمعاء.

إن نشأة الحضارات القديمة في الوطن العربي لم تكن وليدة الصدفة، بل إنه راجع إلى وجود مقومات لنشوء هذه الحضارات المختلفة، وذلك نتيجة لوصول كميات من المياه كل عام بصورة شبه منتظمة، وكذلك وجود أراضى جيدة مؤهلة للزراعة، مما أدى إلى انتقال الإنسان القديم من مرحلة الرعي والصيد إلى مرحلة الزراعة؛ وذلك لينشد ضالته في الحصول على الغذاء ليقتات منه وليجد مكانا آمنا يستقر فيه بجوار أرضه المنزرعة، وبالتالي نشأت المدن التي تحتوى على المباني الشاهقة والمعابد ومظاهر الحضارة المختلفة.

ولقد قامت حضارة مصر العريقة عن طريق نهر النيل العظيم، وكما **يقول هيرودوت**: "مصر هبة النيل". وما زال هذا النهر العملاق هو مصدر الحياة في مصرنا الغالية والمورد الرئيسي للحياة. **وكما قالوا في الأمثال**: "اللي بيشرب من نيلك يا مصر بيرجع لك تاني".

ورغم أن مصر قد قامت حضارتها القديمة نتيجة لمواردها المائية الغنية نسبيًّا، إلا أننا في الوقت الحالي نجد أن موارد مصر المائية لا تكفى طموحاتها الزراعية والصناعية المستقبلية، علمًا بأن هناك موارد غير قليلة يساء استخدامها ويتم إهدارها، مما يستوجب معه المحافظة على كل قطره ماء؛ لأن الماء هو الحياة، فقد نشأت الحياة على الأرض مرتبطة بالماء الذي هو عصب الحياة، وذلك منذ بدء الخليقة، وستبقى كذلك إلى ما شاء الله أن تكون، ويعتبر الماء هو أهم مكون من مكونات الحياة، حيث إنه نعمة من نعم الله على البشر، والتي تستوجب دائما وأبدا الشكر.

إن الإنسان المصري كان ولازال وسيظل هو العقل المفكر للسيطرة على جميع الموارد الطبيعية المحدودة، وهو الذي يقوم بصيانة واستخدام هذه الموارد بكفاءة لكي تتواصل التنمية الزراعية ولتكون هناك زراعة مستدامة لصالح الأجيال المتعاقبة، وذلك بالرغم من التحديات والصعوبات التي تواجهنا رغم ثبات مواردنا المائية ومحدوديتها.

وإذا ما نظرنا إلى الزراعة المطرية وما تسهم به في دخل مصر القومي فإننا نجد أن هذه الزراعة المطرية ضئيلة جدا؛ حيث تبلغ مساحتها حاليا حوالي 4٪، وذلك مقارنة بالزراعة

المروية والتي تمثل حوالي 96٪، حيث إن هطول الأمطار في مصر يعتبر قليل. وقد ظلت العناية بتنمية هذه المناطق محدودة؛ وذلك نظرًا لعدم الاستقرار الأمني نتيجة الحروب التي دارت رحاها على أرض مصر، مثل: الحرب العالمية الثانية في العلمين، والحروب التي خاضتها مصر في سيناء. وكذلك نتيجة للمنازعات المحلية، مما أدى إلى عدم دراسة مشاكل الزراعة في هذه المناطق التي تتعرض لسقوط الأمطار والتي يتم زراعتها على الأمطار.

وتعتبر الزراعة الجافة في مصر اصطلاح مرادف للزراعة المطرية والتي تعتمد على الأمطار، وأن النباتات التي تنمو تحت ظروفها تعتبر نباتات مقاومة للجفاف، وتحت ظروف الزراعة في المناطق الجافة وشبه الجافة نجد أن كميات الأمطار المتساقطة لا تكفي لنجاح زراعة المحاصيل كما في مصر (إلا في بعض المناطق المحدودة كالساحل الشمالي وسيناء)، وبالتالي فإن الزراعة في هذه الحالة تعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأنهار أو الآبار؛ وذلك لإعطاء المحاصيل المنزرعة ريات تكميلية تحت ظروف هذا النظام (الري التكميلي).

ولكن نتيجة لزيادة الاهتمام بتنمية جميع موارد مصر الزراعية، فقد بدأت المشروعات الكبيرة والعملاقة والدراسات المتعمقة، وكذلك انعقاد المؤتمرات الفعالة، وذلك لتقديم كل ما هو جديد نحو: تطبيق التقنيات الحديثة من حصاد الأمطار، والطرق المثلى والمعاملات الأفضل لزراعة مثل هذه المناطق، ودراسة ظروف التربة والسكان والبنية الأساسية للمناطق التي تعتمد على الزراعات المطرية، ودور الري التكميلي للمناطق الأخرى التي تتساقط وتهطل عليها كميات أقل من الأمطار، والعناية بالمياه الجوفية، سواء من الآبار أو الخنادق واستخدامها الاستخدام الأمثل والرشيد في ري المناطق الجافة.

ويعتمد الري الكامل أساسا على مياه الري والتي تعتبر هي المصدر الأساسي لري المحاصيل تحت هذا النظام في المناطق الجافة وشبه الجافة، وحيث إن كميات الأمطار لا تكفي لاحتياجات المناطق الجافة وشبه الجافة فإن ذلك يؤدي لاستخدام المياه المتوفرة في الأنهار أو الآبار لري المحاصيل ريات تكميلية لإنجاح زراعة المحاصيل المنزرعة تحت هذا النظام.

ولذلك فإنه يجب تطبيق طرق الري الحديثة كالري بالرش والتنقيط لزراعة مثل هذه الأراضي وتبطين الترع والمساقي.

ومن هذا المنطلق فإنه يجب أن ندق ناقوس الخطر؛ لأن مواردنا المائية محدودة، ونتيجة لأننا نقع الآن تحت حد الفقر المائي للفرد في مصر، ونتيجة لأن مصر تقع في المناطق الجافة وشبه الجافة.

لذا فإنه كان لزامًا علينا أن يتم تقنين استخدام المياه والمحافظة على كل قطرة، حيث إن الحضارات ستقاس بكل قطرة ماء، ويجب عدم الإسراف أيًّا كان نوعه في استخدامنا للماء.

المؤلف

أ.د . السيد حامد الصعيدي

obeikandl.com